الأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي وكيفية الاستفادة منها في تعليمنا المعاصر

أ. أحمد عيسى الهبيل

وزارة التربية والتعليم العالي

ملخص البحث

عاش الإمام الشافعي نهاره وجانباً كبيراً من ليله يعلم ويربي ويدرِّس طلابه بأنجح الأساليب التعليمية في المسجد وفي الشارع وفي المنزل، وسجل خبراته في كتبه ومؤلفاته، وعاش ومات وفياً لهذه الأساليب والطرق التعليمية، مما جعله سبقاً تربوياً على كل النظريات التربوية الحديثة، وإنه من الضروري بمكان إحياء مثل هذه المعاني في نفوس المعلمين والمتعلمين. وقد جاءت هذه الدراسة لتبرز دور الإمام الشافعي كمعلم، وما هي الأساليب التعليمية التي استخدمها الإمام الشافعي وكيفية الاستفادة منها في تعليمنا المعاصر. ويشتمل هذا البحث على ما يلي:

المقدمة: وفيها بيان لأهمية البحث وسبب اختياره.

الفصل الأول: حياة الإمام الشافعي.

الفصل الثاني: بيان بعض الأساليب التعليمية المستخدمة عند الإمام الشافعي.

الفصل الثالث:التوظيف التربوي للأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي.

وفيه محورين رئيسين هما: أولاً/ أهمية تنوع الأساليب التعليمية.

ثانياً/ الاستفادة من الأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي في تعليمنا المعاصر.

الخاتمة:وتشمل أهم النتائج التوصيات.

ABSTRACT

Imam Shafi'i stayed his day and much of the night to teach and bring up his student using the best teaching methods in the mosque، the street and at home، He wrote his experiences in his books and writings، He lived and died loyal to these methods،and made him the scoop educationally at all modern educational theories، It is very necessary to revive these meanings in the hearts of teachers and learners. The present study was to explain the role of Imam Shafi'i as a teacher، what are the teaching methods used by him، and how to use them in teaching today.

This research contains the following:

Introduction: It states the importance of the research and why it was chosen. **Chapter I:** The Life of Imam Shafi'i. **Chapter II:** Statement of some teaching methods that are used by the Imam Shafi'i.، **Chapter III:** Employing the teaching methods prepared by Imam Shafi'i.، This chapter has two main parts. **I/** importance of the variety of teaching methods. **II/** how to get benefit from these teaching methods in our education today.

Conclusion:It shows the most important recommendations and results.

المقدمة

الإمام الشافِعِي رحمه الله تعالى إمام يشهد بسعة علمه، وعمق فهمه، الأئمةُ من أولي العلم قديماً وحديثاً في ميادين مُختلفة، وما زالت مُؤلفاته وتوجيهاته ملء سمع وبصر وفؤاد العلماء، فهو مجدد القرن الثاني معلماً ومربياً. وإنَّ الإمام الشافعي لا يملك مُجرَّد نظرات تربوية ولكنه أصَّل نظريات صادقة تستحق أن تجعله صاحب صدارة، وسبق تربوي. وعندما قام بعض الباحثين العرب بالكتابة عن أصول التَّربية وتطور الفِكر التَّربوي أبعدوا علماء المسلمين عن التَّربية وافتتنوا بالتُّراث الغربي وابتعدوا عن دراسة جهابذة الفِكر الإسلامي مما أسهم في إقصاء الإمام الشَّافِعِيّ وغيره من علماء المسلمين عن المجال التربوي. وقد جاءت هذه الدراسة لتبرز دور الإمام الشافعي كمعلم، وما هي الأساليب التعليمية التي استخدمها الإمام الشافعي وكيفية الاستفادة منها في تعليمنا المعاصر.

مشكلة البحث:

في ضوء ما سبق يمكن صوغ مشكلة البحث بالسؤال التالي:

ما الأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي وكيفية الاستفادة منها في تعليمنا المعاصر.

ويتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

١-ما هي الأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي؟

٢-كيف يمكن توظيف الأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي في تعليمنا المعاصر؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١- الكشف عن الأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي.

٢- محاولة توظيف الأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي في تعليمنا المعاصر.

أهمية البحث:

١-محاولة التعرف إلى بعض الأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي.

٢- يقدم البحث بعض المقترحات التي قد تساعد المعلمين على الاعتماد على أساليب تربوية مستقاة من شريعتنا الإسلامية وفكرنا الإسلامي الأصيل في التعليم.

٣-يساعد البحث مدراء المدارس والمشرفين في التعرف على بعض الأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي وكيفية توظيفها في تعليمنا المعاصر.

حدود البحث:

اقتصر البحث على دراسة ما يلي:

١-الأساليب التعليمية التي استخدمها الإمام الشافعي كمعلم.

٢-كيفية الاستفادة من هذه الأساليب التعليمية في تعليمنا المعاصر.

مصطلحات البحث:

الأساليب التعليمية:"الإجراءات التي يتخذها المعلم في تنفيذ طريقة من طرق التدريس من أجل تحقيق الأهداف المحددة للمادة التعليمية مستعيناً بوسيلة من الوسائل التعليمية المناسبة"[١]

تعريف إجرائي: الأساليب التعليمية هي: الطرق التي يسلكها المعلم في تعليمه للطلاب بقصد تحقيق الأهداف المرجوة.

الدراسات السابقة:

١- دراسة الدقر) ٢٠٠٩م(محمد بن إدريس الشافعي، ناقشت حياة الإمام الشافعي وأبرزت فضله، منذ ولد إلى أن توفي، وعرض فيها الباحث ما نقل من شهادة كبار العلماء في مختلف المذاهب والنحل مؤكداً مكانة الإمام الشافعي الفريدة، كما شرحت الدراسة حياة الشافعي في سبعة فصول .بدأ الباحث بعصر الشافعي ومولده ونشأته، ثم ناقش أهم رحلات الشافعي العلمية، وعرضت الدراسة أسلوب المناظرة كطريقة من طرق الشافعي في تدريسه لتلاميذه، و تحدث الباحث عن حلم الشافعي وخفض صوته في المناظرة، ونبله وسمو روحه. وأكد الباحث بأن مقياس تقديره لمناظره ليس بحيله وأحابيله، ولا بوفرة علمه ولا بجهارة صوته، وشططه في القول، وإنما بإنصافه ورغبته بالحق واستجابته للحجة والدليل. جاءت الدراسة بأمثلة من مناظرات الشافعي. وناقش الباحث أدب وشعر الشافعي، وختم الباحث دراسته بحكم الشافعي وأدعيته وكلماته.[٢]

٢- دراسة أبو شوشة) ٢٠٠٨م(التراث التربوي في المذهب الشافعي، هدفت الدراسة إلى التعرف على أهم القضايا التربوية المتضمنة على عدد من مصادر المذهب الشافعي، ومعرفة مدى إمكانية الاستفادة من الفكر التربوي لفقهاء المذهب الشافعي في مجال التربية في العصر الحالي . استخدم الباحث في دراسته المنهج التاريخي، وأسلوب تحليل المحتوى. وقد خصص الباحث سبعة فصول من فصول الدراسة لعرض قضايا التربية التي أسفر عنها تحليل مصادر المذهب الشافعي محل الدراسة، و توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة منها: أعلى فقهاء المذهب الشافعي من قيمة العلم والعلماء مؤكدين فضل العلم وأهمية الاشتغال به وقالوا بأن طلب العلم عبادة تفوق منزلتها منزلة

١ هندي وعليان: دراسات في المناهج، ص١٠٩

٢ الدقر، عبد الغني: محمد بن إدريس الشافعي، ٢٠٠٩ م.

النوافل من العبادات، و لم ينتقص فقهاء المذهب الشافعي من قدر العلوم الطبيعية، بل جعلوا دراستها من فروض الكفاية، كما لم يحقروا الحرف والصناعات وعدوا تعليمها من فروض الكفاية أيضا. كما اهتم فقهاء المذهب الشافعي بقضية التأليف العلمي ووضعوا له من الضوابط ما يتضمن تحقيق الهدف منه والمتمثل في توسيع دائرة معارف العالِم . كما أكد فقهاء مذهب الشافعي أهمية التقويم المستمر للطلاب حتى يقف المعلم أولاً بأول على مدى تقدمهم ومستوى تعليمهم .وأقر فقهاء المذهب الشافعي بأهمية اختيار المعلم لطريقة التدريس التي تتناسب مع قدرات المتعلمين وطبيعة المادة الدراسية. [1]

٣- دراسة بدر محمد ملك وأبو طالب) ١٩٨٩م(عن السبق التربوي في فكر الإمام الشافعي توصلت الدراسة إلى الآتي:

أولاً: إن الكاتبين في ميدان التربية لم يفردوا للشافعي كتباً متخصصة في المجال التربوي تبرز أفكاره وتبين آراءه، ولم تمتد أيدي الباحثين إلى الكثير من كنوزه العلمية، والتي مازالت حبيسة في كتبه أو في سيرته وترجمته.

ثانياً: نجح الإمام الشافعي في أن يتخذ من الشعر مادة ثرية يخدم بها غرضه التربوي فجاء ديوانه الشعري صورة صادقة وتعبيراً واقعياً عن تجربته التربوية .

ثالثاً: كانت نظريات الإمام الشافعي وأفكاره التربوية نبراساً هادياً ومنطلقاً قيماً يقتبسون منه رواد التربية من بعده، كالغزالي وابن خلدون وابن جماعة وغيرهم حتى كان هؤلاء امتداداً طبيعياً لفكره التربوي، وكثيرا ما كانت أفكارهم مجرد صدى لآراء الإمام الشافعي .

رابعاً: تقوم فلسفة التربية عند الإمام الشافعي على أساس أن العلم النافع هو الذي يستطيع أن يحقق السعادة والاستقرار للإنسان وأن العلم في نظره عبادة.

خامساً: آراء الإمام الشافعي وأفكاره التربوية ليست وليدة دراسات في الفلسفة أو في علم الكلام كما أنها ليست ترديدا لفكر قديم شرقي أو غربي وإنما هي اقتباس من مشكاة النبوة من القرآن والسنة لذلك جاءت فكراً إسلامياً صافياً .

سادساً: الوضوح الكامل مع الإيجاز غير المخل هما السمة الغالبة على كل آراء الشافعي في المجال التربوي .

---

١ أبو شوشة، محمد ناجح: التراث التربوي في المذهب الشافعي ٢٠٠٨م.

سابعاً: بلاغة الإمام الشافعي وقدرته الفائقة على الإيجاز تتطلب ممن تصدى لشرح أقواله أن يعمد إلى الإسهاب والتوسع لكي يحيط بكل ما في كلماته من معاني باستيعاب ووضوح .وقد أوصى الباحث في دراسته ما يلي:

أولاً: النصوص الشعرية والنثرية التي يمكن أن تختار من تراث الإمام الشافعي ينبغي أن تدرس في المراحل التعليمية المختلفة، وأن يحرص القائمون على شئون التعليم أن يقروها حفظاً وتعليماً فإنها مع دورها في التربية تنمى ملكة الحفظ و تكسب الأدب الرفيع في التعبير، وتعطي القدرة على الأداء، كما أنها أصول فقه وتربية وقانون وسياسة واقتصاد واجتماع.

ثانياً: إن من الأمانة العلمية أن يكتب تاريخ الفكر التربوي وتطوره مع إبراز الرواد الأوائل الذين أسسوا الحركة الفكرية والتربوية من أمثال الإمام الشافعي.[1]

٤- دراسة فاطمة محمد السيد علي) ١٩٨١م) بعنوان الفكر التربوي عند الإمام الشافعي قدمتها الباحثة لكلية التربية بشبين الكوم في جامعة المنوفية للحصول على درجة الماجستير في أصول التربية .تحدثت الباحثة في الفصل الأول عن الاتجاه الفقهي في التربية وبما أن الإسلام منهج حياة فقد أكدت الباحثة على وجود علاقة وثيقة بين الفقه وأصوله وبين التربية .وفي الفصل الثَّاني كان الحديث عن عصر الإمام الشافعي من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والثقافية. وجاء الفصل الثَّالث ليتحدَّث عن الإمام الشافعي من حيث مولده ونشأته وفقهه وشيوخه وطلابه .وفي الفصل الرَّابع تحدثت الباحثة عن مصادر الفكر التربوي الإسلامي وموقف الإمام منها وفي هذا الفصل وضَّحت الباحثة مصادر الفكر التربوي عند الإمام الشافعي وهي كالآتي: القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس. وفي الفصل الخامس كان الحديث يدور عن الفكر التربوي عند الإمام الشافعي فتحدثت الباحثة عن فلسفة التربية وأهدافها ومناهج التعليم وطرق التدريس ومراحل التعليم وإعداد المعلم. وفي الفصل السادس قامت الباحثة بدراسة مقارنة إذ خصصت الفصل بأكمله للحديث عن الفكر التربوي الرأسمالي، والشيوعي ثم قارنت المدرستين بالفكر التربوي العربي والفكر التربوي عند الإمام الشافعي[2] .

١ ملك، بدر محمد وأبو طالب: السبق التربوي في فكر الإمام الشافعي، ١٩٨٩م.

٢ السيد علي، فاطمة محمد: الفكر التربوي عند الإمام الشافعي، ١٩٨١ م.

الفصل الأول: حياة الإمام الشافعي

أ) مولده ونشأته:

يقول الإمام الشافعي عن نسبه أمام الخليفة الرشيد: (أنا محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف).

"ولد محمد بن إدريس الشافعي في غزة على مشارف مصر والشام سنة ١٥٠هـ، وكان أبوه قد خرج من مكة إليها للتجارة أو للمرابطة على الثغور، ومات بعد مولد طفله بقليل، مثلما مات فيها هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى رحلاته التجارية".[١]

وبعد سنتين من ميلاده حملته أمه إلى مكة، و بها عاش يتيماً في حجر أمه، فحفظ القرآن صغيراً، ثم خرج إلى هذيل بالبادية، فحفظ كثيراً من شعرهم، ثم عاد ولزم مسلم ابن خالد الزنجي، وهو شيخ الحرم ومفتيه، وقال له شيخه وهو ابن خمس عشرة سنة: أفت يا أبا عبد الله فقد آن لك – والله – أن تفتي.

ب) أخلاقه وصفاته:

إن الشافعي علاوة على خلقه السمح كان بحراً من العلم قراره عميق وشاطئه بعيد، من علوم الدين، والقرآن، والحديث، والفقه، واللغة، وعلوم الدنيا، من نحو وعروض، وشعر ونوادر، وأخبار وأيام، وفلك، ورحلة، ولقد ألم بعلوم زمانه جميعاً فكان كما قال ابن خلكان:"اتفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته، وأمانته، وعدالته، وزهده، وورعه، ونزاهة عرضه، وعفة نفسه، وحسن سيرته، وعلو قدره، وسخائه".[٢]

ج) شيوخه و تلاميذه:

خَصَّ الله عزَّ وجلَّ الإمام الشَّافِعِيّ بمعلمين هم أئمة زمانه، وجهابذة الإسلام في تاريخه المجيد وعلى رأسهم **الألمعي مالك ابن أنس** عالم المدينة.

ووكيع بن الجراح بن مليح الرّوَاسِيّ أبو سفيان الكوفي الحافظ. الإمام الحنفي الزَّاهد مُحَدِّث العراق. قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: ما رأيت أوعى للعلم من وكيع ولا أحفظ منه.

---

١ الجندي، عبد الحليم: الإمام الشافعي وأثره في الفكر والثقافة العربية، مجلة الثقافة العربية، العدد ٥، عام ١٩٧٧م.

٢ ابن خلكان، أحمد: وفيات الأعيان، مجلد ٣، ص ٣٠٧

وكذلك **مسلم بن خالد الزنجي** فقيه مشهور في زمانه وإمام أهل مكة ومفتيهم. قال الزنجي لتلميذه الشَّافِعِيّ بعد أن استوفى تحصيله، وأكمل دراسته:"أفت يا أبا عبد اللّه، فَقَد آن لك واللّه أنْ تُفتي"، وكان عمره خمس عشرة سنة حينها.

و من أشهر ***تلاميذ*** الشَّافِعِيّ:

الإمام **أحمد بن حنبل** واسمه كاملاً أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني وكنيته أبو عبد الله وقد شهد له الإمام الشافعي شهادة تضعه في مقدمة العلماء حيث قال عنه:

"خرجت من بغداد وما خلفت فيها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل".[١]

و **أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي** الذي قال عنه الإمام الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى، وليس أحد من أصحابي أعلم منه.وكذلك **الربيع بن سليمان المرادي،** هو راوية كتب الشافعي ولازم الشافعي مُدَّة أهلته للأخذ عنه كثيراً، وبث هذا العلم بين الناس حتى أن طلاب العلم كانوا يأتون إليه بعد وفاة الشافعي من أقطار بعيدة ليأخذوا منه علم أستاذه الشَّافِعِيّ الذي بفراسته توقع أن يكون الرَّبيع المرادي راوية كُتبه. [٢]

د) مؤلفاته:

"للإمام الشافعي العديد من المؤلفات التي كتبها ويبلغ عددها مائة وسبعة وأربعين كتاباً بالإضافة إلى المؤلفين الكبيرين"الرسالة"و"الأم"وكتاب ثالث ألفه الشافعي عندما كان في العراق عرف باسم"كتاب الحجة"اشتمل على مسائل فقيهة وكثير من الفروع".[٣]

هـ وفاته: خرج إلى مصر سنة (١٩٩هـ) وقيل (٢٠١ هـ) ولم يزل بها إلى أن توفى سنة (٢٠٤ هـ). [٤]

١ ابن خلكان، أحمد: وفيات الأعيان، مجلد١٠، ص٤٨.

٢ الكندري، لطيفة وآخرون: المضامين التربوية في فكر الإمام الشافعي.

٣ الشكعة، مصطفى محمد: إسلام بلا مذاهب.

٤ ملك،بدر، الكندري، لطيفة: تراثنا التربوي، ننطلق منه ولا ننغلق فيه.

الفصل الثاني/ الأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي

تعتبر التربية الإسلامية فريضة شرعية، وضرورة تربوية، لإعداد الجيل المسلم الصالح الذي يحقق العبودية لله عز وجل، ويعمر الكون ؛ لأن في صلاح الفرد صلاحاً للأسرة، وبصلاح الأسرة يصلح المجتمع، ويستقيم على أمر الله، وبصلاح المجتمع تصلح الأمة الإسلامية. وهذا أسمى هدف تسعى إليه التربية الإسلامية من خلال وسائطها التربوية المختلفة والوسيلة التي تحقق هذا المقصد المهم، وهو العلم والتعليم. وهذا يعكس أهمية الأساليب التربوية التعليمية التي تساعد المربين على القيام بواجبهم التربوي في التعليم وبيئات التربية المختلفة، وتحقق أهداف التربية السامية ؛ لأنه أصبح من المقرر"أن المعلم لا يعلِّم بمادته فحسب وإنما بطريقته وأسلوبه وشخصيته وعلاقاته مع تلاميذه".[1] إن المربي المسلم يسعى إلى بناء الشخصية الإسلامية السوية، وذلك من خلال الوسائط التربوية المختلفة، مستخدماً لذلك الأساليب التعليمية المناسبة لمقتضى الحال.

ويرغب الباحث في استنباط بعض الأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي، وتوظيفها في تحقيق أهداف التربية الإسلامية. فلاحظ أن الإمام الشافعي تحدث عن العلم والمعلم والمتعلم والأساليب التعليمية وهو بذلك تناول المحاور الرئيسة للتربية وفق نظرة إسلامية صافية صادقة لم يشوبها الغلو أو التقصير، فجاءت أفكاره لتعبر عن التربية كنظرية وتطبيق، وكعقيدة وشريعة.

و لقد استخدم الإمام الشافعي الأساليب التعليمية المتنوعة وذلك حسب الحاجة إليها، والقدرة على تطبيقها، ومنها القدوة الحسنة، والمناظرة، الرحلة العلمية، والموعظة والنصيحة، والأدلة والبراهين، ومراعاة الفروق الفردية، وضرب الأمثال، وشرح المفردات، والتلقين والتكرار، والتمهيد للدرس، والتعميمات، والترغيب والترهيب ورأيه في العقاب البدني.

الأسلوب الأول/ أسلوب القدوة الحسنة

"أُدخل الإمام الشافعي يوماً إلى قصر هارون الرشيد، يستأذن مقابلة أمير المؤمنين ومعه الخادم سراج فأقعده عند أبي الصمد مؤدب أولاد الرشيد، فقال سراج للشافعي: يا أبا عبد الله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم لو أوصيته بهم. فأقبل على أبي عبد الصمد فقال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك فإن أعينهم معقودة عليك فالحسن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تركته، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوا ولا تتركهم فيهجروه ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنهم من علم إلى غيره، حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في

---

١ أبو صالح، محب الدين: أساسيات في طرق التدريس.

السمع مضلة للفهم".[1] تلك النصيحة العظيمة تعتبر من النصائح الذهبية التي قدمها لنا الإمام الشافعي، وهي أساس إعداد المعلمين، وهي من أروع نماذج التربية الإسلامية في كل العصور. فقد ركز الإمام الشافعي على مفهوم القدوة الحسنة وضرورة أن يعمل المعلم بعلمه، فإذا رأى التلميذ معلمه يتحدث عن ضرورة الصلاة و أهميتها، ثم لا يجده يصلي أمامه في المدرسة فإن أثر المعلم سيكون ضعيفاً جداً في التلاميذ.

الأسلوب الثاني/ أسلوب المناظرة

يعتبر أسلوب التعليم بالمناظرة من"مميزات طرق التربية الإسلامية ولا ينكر أحد أثرها في شحذ الذهن، وتقوية الحجة والتمرن على سرعة التعبير والتفوق على الأقران وتعويد المتناظرين الثقة بالنفس والقدرة على الارتجال، ولهذه الأسباب عني بها المسلمون عناية كبيرة، وعدوها من أساليب التعليم".[2]

ولأهمية المناظرة كأسلوب من أساليب التعليم استخدمها المعلمون على مر العصور، وكانت المناظرة مرادِفةً لما أسموه بالمحاورة والتي تعني الحوار بلغة العصر، وقد وجد الإمام الشافعي المناظرة وسيلة عجيبة لتوصيل الأفكار وترسيخها في الأذهان، والغرض من المناظرة كما يراها الإمام الشافعي، هو البحث عن الحقيقة، وليس كسب المواقف، والانتصار للنفس، وإفحام الخصم، واستعراض المواهب. قال الشافعي:"وددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الله الحق على يديه". [3]

ومن آداب المناظرة كما قال ابن الشافعي:"ما سمعت أبي ناظر أحداً قط فرفع صوته"[4]. ولأن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية نجد الإمام الشافعي في نهاية كل مناظرة يقول: ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة. والإمام الشافعي يوصينا بحسن الخلق ساعة المناظرة وعدم تحويلها إلى جولة مصارعة فيقول:

إذا ما كنت ذا فضلٍ وعلمٍ	بما اختلف الأوائل والأواخر
فناظر من تناظر في سكون	حليماً لا تلح ولا تكابر
يُفيدك ما استفاد بلا امتنان	من النُّكت اللطيفة والنوادر

١ الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ٣، ص ٤٠٤.

٢ الإبراشي، عطية: التربية الإسلامية وفلاسفتها.

٣ النووي، يحيى بن شرف: تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٧.

٤النووي، يحيى بن شرف: تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٧٤.

وإيَّاك اللَّجُوجَ ومن يُرائي بأني قد غلبت ومن يفاخر[1]

الأسلوب الثالث/ أسلوب الرحلة العلمية

إن أسلوب الرحلة العلمية في التعليم كانت ولا زالت إحدى طرق التعليم المهمة وأساليبه النافعة ذات الأهداف المتعددة، فهي إلى جانب الحصول على المعلومات عن طريق التفاعل والتلقي المباشر للكثير من المفاهيم والتصورات والاطلاع على أحوال المجتمعات ذات أثر على مكانة المتعلم حيث ارتبطت قيمة الطالب العلمية في نظر المجتمع مع ما قام به من رحلات علمية، ومع عدد الشيوخ الذين تلقى عنهم العلم، وقد عبر عن هذا الأسلوب أحد المربين الأجانب بقوله:"وكان جل الباحثين وطلاب العلم يرحلون في حماسة ظاهرة عبر القارات الثلاث ثم يعودون إلى بلادهم كما يعود النحل محملاً العسل الشهي، ثم يجلس هؤلاء الباحثون في بلادهم ليرووا شغف الجماهير التي كانت تنتظر عودتهم".[2]

وقد كان العلماء السابقون يحصلون على العلم بطرقتين هما: الرحلة العلمية والالتقاء بالعلماء، والأخذ عنهم، أو عن طريق المراسلة، وذلك بأن يرسل المعلم رسالة علمية تتضمن المسائل العلمية إلى الآخرين، أو يرسل التلاميذ وأفراد المجتمع بعض الأسئلة إلى العالم ويقوم بالإجابة عنها عن طريق المراسلة.

وقد أوجز الإمام الشافعي القول في فوائد الرحلة في طلب العلم في بيتين من الشعر فقال:

تغرَّب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائدِ

تفرُّج هم، واكتساب معيشةٍ وعلمٌ، وآدابٌ، وصحبة ماجدِ

وهنا نلاحظ أن الإمام الشافعي قد أهتم بالرحلة العلمية في طلب العلم، والتوجيه، والنصح، والإرشاد،لاسيما قبل وجود وسائل الاتصال الحديثة.

الأسلوب الرابع/ أسلوب الموعظة والنصيحة

المَوعظة والنَّصيحة والتَّذكرة من الأساليب التَّربوية في التَّهذيب. يقول الإمام الشَّافِعِيّ:"الموعظة للعوام، والنَّصيحة للإخوان والتَّذكرة للخواص منهم، فرض افترضه الله على عُقلاء المؤمنين ولولا ذلك لبطلت السُّنَّة وتعطَّلت الفرائض". يقول الشَّافِعِيّ في النَّصيحة (النَّاس في غفلة من هذه السُّورة:"وَالْعَصْرِ {١} إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ {٢} إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا

١ الكندري، لطيفة حسين وآخرون: المضامين التربوية في فكر الإمام الشافعي ٢٠١٠م، ص ١٩.

٢ سليمان، أحمد: التربية والتعليم.

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ {٣}"(سورة العصر). والحق كما قال الشَّافِعِي أنَّ سورة العصر تكفي الإنسان في حياته لو عمل بمقتضاها. ومن الوصايا الخالدة في موضوع النَّصيحة قول الشَّافعي:

تعمـــدْني بنـــصحِكَ فـــي انفـــرادي وَجَنِّبنـــي النّـــصيحةَ فـــي الجماعـــةْ
فـــإن النُّـــصحَ بـــين النَّـــاسِ نـــوعٌ مـــن التَّـــوبيخِ لا أرضـــى اســـتماعَهْ
وإن خـــالفتني وعـــصيتَ قـــولي فـــلا تجـــزعْ إذا لـــم تُعْـــطِ طاعـــهْ

وهكذا وفي إطار التغيير بالحكمة وضع الإمام الشافعي آداباً للنصيحة الصحيحة منها أن لا تكون أمام الناس كي لا يُحرج المنصوح. لأن النَّصيحة في الملأ توبيخ يدل على عدم لباقة الناصح على معالجة الأمور وسياسة النفوس والوصول إلى قلب المنصوح بالحكمة.

ولقد تحدَّث الإمام الشَّافِعِيّ في الرِّسالة عن أهمية نصيحة المسلمين وذكر الأدلة وقال إن النصيحة من طاعة الله وطاعةُ الله جامعة للخَير. والنَّصيحة باب عظيم للدَّعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ولا قوام لها إلا بالحسنى والحكمة فإنَّ النَّصيحة رسالة تحتاج إلى غلاف جذَّاب غير مُنفِّر تصل إلى المنصوح بغرض التَّصحيح لا التَّجريح.

و عندما سمع الإمام الشَّافِعِيّ تلميذه المزني يقول عن أحد الرُّواة"فلان كذاب"ردَّ عليه: يا إبراهيم، اكس ألفاظك أحسنها، لا تقل كذاب، ولكن قل: حديثه ليس بشيء"[1]. وبذلك فإن حفظ اللِّسان ووزن الكلام قبل التَّلفظ به يعصم الإنسان من الزَّلل وقد قال الإمام الشَّافِعِيّ رحمه اللّه: إذا أراد الإنسان الكلام فعليه أن يُفكر قبل كلامه، فإن ظهرت المصلحة تكلَّم، وإن شكَّ لم يتكلم حتى تظهر وقال الإمامُ الشَّافِعِيّ رحمه اللّه لصاحبه الرَّبِيع: يا ربيعُ! لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنَّك إذا تكلَّمتَ بالكلمة ملكتكَ ولم تملكها.

الأسلوب الخامس/ أسلوب الأدلة والبراهين

من الأساليب التعليمية التي يغفل عنها الكثير من المربين والكتاب والباحثين أسلوب عرض الحقائق المقرونة بالأدلة الموثقة بالأسانيد ..و كلام بلا سند كبيت بلا عمد.

وإن الكلام العلمي الذي يبنى على قوة الإقناع يجب أن يكون موثقاً كي يحمل النفس على اليقين والتسليم والإمام الشافعي في كل ما نقل يعتمد على ما صح خبره لديه وعندما يتحدث كذلك يذكر الحديث والقول بأسانيد وبراهين تثبت صحة النقل فيعطي القارئ والسامع الثقة والارتياح لما

١ البغدادي، الخطيب: تاريخ بغداد، ١٩٨١ م، ص ٢٦٧.

يأخذ ويتعلم. ولقد اهتم الإمام الشافعي في منهجه بالأحاديث الصحيحة وإعراضه عن الأخبار الواهية والضعيفة، ولا أعلم أحداً من الفقهاء اعتنى في الاحتجاج بالتمييز بين الصحيح والضعيف كاعتنائه ولا قريباً منه".[١] وقال الشافعي:"إذا صح الحديث فهو مذهبي وقال: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط".[٢] وصحة الأدلة والبراهين عند الإمام الشافعي درجات لقوله"ولا يسع شاهداً أن يشهد إلا بما علم والعلم من ثلاثة وجوه: منها ما عاينه الشاهد فيشهد بالمعاينة، ومنها ما سمعه فيشهد ما أثبت سمعاً من المشهود عليه، ومنها ما تظاهرت به الأخبار مما لا يمكن في أكثره العيان وتثبتت معرفته في القلوب"[٣] ويقول الإمام الشافعي في كتابه الرسالة:"ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه، لأنه قد ينبه بالاستماع لترك الغفلة، ويزداد به تثبيتاً فيما اعتقد من الصواب، وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده، والإنصاف من نفسه، حتى يعرف من أين قال وما يقول، وترك ما يترك"[٤]

الأسلوب السادس/ أسلوب مراعاة الفروق الفردية

إن من أساسيات نجاح العمل التربوي مراعاة الفروق الفردية والتفاوت في مستوى المتعلمين الذهني والعلمي، و تجاهل ذلك يسبب تشتيت ذهن المتعلم ويحول بينه وبين التفاعل والتجاوب، وربما أوقعه في الانحراف. وتأتي أهمية مراعاة الفروق الفردية للمتعلمين نظرًا إلى أن المتعلم هو حجر الزاوية في كل إصلاح جذري عميق، وإن التربية والمناهج والتنظيم لا تحقق النجاح إذا تجاهلت تكوين الأفراد الذين تتفاعل معهم، ولم تدرك ما يمتازون به من مواهب واستعدادات وما بينهم من فروق في الجسم والعقل والانفعال والتجارب. وبهذا يصبح أسلوب مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين من أساليب التعليم الهامة التي تحقق أهداف العملية التربوية؛ لأن ما يصلح لمتعلم قد لا يصلح لآخر، وما يقال لمتعلم قد لا يحسن أن يقال لمتعلم آخر حتى لا يؤدي ذلك إلى ما لا تحمد عقباه.

وعليه فالمعلم الناجح هو من يقدر هذا التفاوت والاختلاف بين المتعلمين فيخاطب كلا بحسب ما آتاه الله من مدارك وإمكانات ويستخدم الأسلوب المناسب له كما قال ابن مسعود:"ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة".

---

١ النووي، يحيى بن شرف: تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٧٢.

٢ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٣٢٢.

٣ الشافعي، محمد بن إدريس: الأم، ص١٧٥٨.

٤ الشافعي، محمد بن إدريس: الرسالة: ص ٦٢.

قال الإمام الشافعي:"لو أن محمد بن الحسن كان يكلمنا على قدر عقله ما فهمنا عنه، لكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا فنفهمه"[1]. و قال الإمام الشافعي في مقدمة كتابه الرِّسالة"والناس في العلم طَبقات، موقعُهم من العلم بقدْر دَرجاتهم في العلم به. فحُق على طَلبة العلم بلوغ غاية جهدِهم في الاستكثار من علمه، والصَّبرُ على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك عِلمه نصّاً واستنباطاً، والرَّغبة إلى الله في العون عليه، فإنَّه لا يُدرَك خيرٌ إلا بعونه".[2]

وقد قال الإمام مُقرراً وجود الفروق الفردية ومعترفاً بانعكاساتها على ثقافات الناس:

والنَّاس يجمعهم شمل، وبينهم في العقل فرق وفي الآداب والحسب

وهنا نلاحظ ضرورة استخدام أسلوب مراعاة الفروق الفردية في التعليم لدى التلاميذ،"وهذا الأسلوب التربوي يتفق مع مبادئ التشريع الإسلامي الذي يراعي الضعف البشري المتمثل في حدود طاقة البشر هذا من جانب .ومن جانب آخر يعكس اهتمام التربية الإسلامية بأسلوب مراعاة الفروق الفردية الأمر الذي يؤكد سبق التربية الإسلامية على غيرها من التربيات المعاصرة التي تفاخر بممارستها لهذا الأسلوب"[3]. و عليه فإن واجب المعلم استخدام كل أسلوب من شأنه أن يساعد على زيادة الفهم وتحقيق الأهداف التربوية المتوخاة من الوسائط التعليمية.

الأسلوب السابع/ أسلوب ضرب الأمثلة

يحتاج المعلم في ميدان التربية والتعليم إلى تنويع الأساليب التعليمية الفاعلة حتى يثير انتباه التلاميذ، ويجسد المعاني المجردة في صور محسوسة يسهل فهمها لدى المتعلم لاسيما المسائل المعقدة والأفكار الصعبة، وأسلوب ضرب المثال يحقق هذا الأمر بصورة كبيرة.وهنا يتبين لنا أهمية أسلوب ضرب الأمثال في التعليم لما له من أثر كبير في الترغيب، والإفهام، وتصوير المعاني، حتى ترسخ في ذهن المتعلم. وضرب الأمثلة أسلوب يقرب البعيد ويسهل الصعب، ولقد استخدم الإمام الشافعي هذا الأسلوب التعليمي في مؤلفاته وكتبه فهو يضرب الأمثلة للقواعد التي يعرضها للشرح، ويبسط العلم لطلابه وقرائه على حد سواء فيضرب الأمثلة لتقريب الفكرة وشرحها وكان يطرح الحقائق ثم يضرب الأمثلة فيقول في كتابه الأم:"وسأمثل لك من قول كل فرقة عرفتها مثالاً على ما وراءه إن شاء الله". وعندما تكلم الإمام الشافعي عن صيغ البيوع وكتاباتها كان يضرب أمثلة

---

١ ابن مفلح: ص ١٦٥

٢ الشافعي، محمد بن إدريس: الرسالة.

٣ عبد العزيز، صالح: التربية وطرق التدريس، ص ١٤٤.

توضيحية لكيفية صياغة العقود التجارية،"وهكذا يكتب شراء الأمة، وسواء صغير العبيد، وإمائهم، وكبيرهم، وسبيهم، ومولدهم، و يصف كل واحد منهم بجنسه وحليته ويقال مولد إن كان مولوداً، وهكذا في شراء الحيوان كله: الإبل، والبقر، والغنم، والخيل،...من الخيل التي تعرف ببني فلان من نتاج بلدة كذا"[1]

وقد أعطى الشَّافِعِيّ أهمية كبيرة للأمثلة المحسوسة. ورُوِي عن الشَّافِعِيّ أنَّه سئل عن وجود الصَّانع وقدرته فقال: هذا ورق التُّوت طعمُه واحدٌ تأكله الدُّود فيخرج منه الإبريسم (الحرير) وتأكله النَّحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشَّاة والبقر والأنعام فتلقيه بعراً وروثاً، وتأكله الظِّباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد.

والمعلم الناجح هو الذي يقرب الحقائق الصعبة والبعيدة بأمثلة حية توضح الحقائق البعيدة والمجردة.

الأسلوب الثامن/ أسلوب شرح المفردات

اهتم الإمام الشافعي بتعريف وشرح الكلمات التي قد ترد في المبحث والتي قد ينبني على فهمها موضوع الدرس، لما لذلك من أثر كبير في توصيل الأفكار على نحو دقيق، فالمصطلحات هي كلمات مهمة لها معاني محددة عند مجموعة من المختصين في علم من العلوم أو مجال من المجالات. وإننا نجد الإمام الشافعي يعرِّف الغامض في خطابه فيقول"قلت: فما القياس؟ أهو الاجتهاد أم هما مفترقان؟ قلت هما اسمان لمعنى واحد"[2]. وقد حرص الإمام الشافعي على تعريف الكلمات، والتعريفات والمفاهيم، فمثلاً في كتابه الأم يقول"والظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي"ثم يوضح هذا المفهوم فيقول: فإذا قال لها: أنت مني كظهر أمي، أو أنت معي، أو ما أشبه هذا كظهر أمي، فهو ظهار". وفي باب نكاح الشغار يذكر نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الشغار ثم يوضح معنى الشغار فيقول:"أن يزوج الرجل ابنته الرجل على أن يزوجه الرجل الآخر ابنته وليس بينهما صداق". [3]

١ الشافعي، محمد بن إدريس: الأم، ص ١٥٩٥.

٢ الشافعي، محمد بن إدريس: الرسالة،ص٥٨.

٣ الشافعي، محمد بن إدريس: الأم. ج٥، ص١٧٤.

الأسلوب التاسع/ أسلوب التلقين والتكرار

يعد أسلوب التلقين والتكرار من الأساليب التعليمية التي تعتمد أساساً على جهد المعلم في التعليم والتوضيح والبيان للمتعلمين، وهي تناسب بعض المواقف دون غيرها، وبعض المواضيع تحديداً، وقد استخدم الإمام الشافعي أسلوب التلقين والتكرار وعمل على تطبيقه في التعليم، فهو يقول لأحد تلاميذه" :يا ربيع، لو أمكنني أني أطعمك العلم لأطعمتك ."وروى السبكي(٢٠٠٩)"كان الربيع بطئ الفهم فكرر الشافعي عليه مسألة واحدة أربعين مرة فلم يفهم وقام من المجلس حياء فدعاه الشافعي في خلوة فكرر عليه حتى فهم".[١] وهنا نلاحظ أن أسلوب التكرار في التعليم ذو أثر بالغ في توكيد المعرفة وإيصالها إلى المتعلم أثناء التعليم، وأن التكرار يعزز الاحتفاظ بما يكتسبه المتعلم من معلومات أو مهارات، وأن معظم ما يتعلمه الإنسان يحتاج إلى تكرار وتدريب حتى يتم التعلم والفهم.

الأسلوب العاشر/ أسلوب التمهيد للدرس وتهيئة المتعلمين

إن هذا الأسلوب التعليمي يتضمن الأنشطة التي تهيئ أذهان المتعلمين وتشمل كل ما يؤدي إلى إثارة انتباههم، باستدعاء الخبرات السابقة ذات الصلة بالموضوع الجديد أو إثارة شعور المتعلمين بأهمية الموضوع لصلته بأحد ميولهم أو حاجة من حاجاتهم، وإن الإمام الشافعي في قصته مع سراج خادم أمير المؤمنين هارون الرشيد التي ذكرت سابقاً في أسلوب القدوة الحسنة يقول الإمام:"علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوا ولا تتركهم فيهجروه ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنهم من علم إلى غيره، حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم".[٢]

وفي هذه القصة إشارة واضحة من الإمام الشافعي بضرورة تهيئة الطلاب لاستقبال الخبرات الجديدة بعد التأكد من إتقانهم للمتطلبات الأساسية السابقة اللازمة، ومن ثَمَّ الشروع في الدرس وبشكل تدريجي من السهل إلى الصعب وبما يتناسب مع مستوى الطلاب. وقد وضع الإمام الشافعي أصول منهجه بوضوح واقتضاب في البداية ثم بعد ذلك فصَّل فيها وأصل قواعدها. فهو يرى العلم بأنه"طبقات شتى: الأولى الكتاب والسنة إذا ثبتت السنة، ثم الثانية الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة. والثالثة أن يقول بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم له مخالفاً

١ السبكي: طبقات الشافعية، ٢٠٠٩م.

٢ الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ٣، ص ٤٠٤.

منهم. والرابعة اختلاف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك. والخامسة القياس على بعض الطبقات"[1]

الأسلوب الحادي عشر/ أسلوب التعميمات

إن المعلم الناجح هو الذي يستطيع أن يجمل كل جزئيات درسه أو غالبيتها، ثم يصوغها بتعميم عام شامل لموضوع درسه. فعندما يخرج المعلم من جزئيات الدرس إلى حقيقة كلية شاملة يسهل على الطالب فهم الموضوع بعدما تجمعت خيوط الموضوعات في يده، والمعلم المتمكن فقط هو الذي يستطيع أن يستخدم هذا الأسلوب التعليمي في درسه. وإننا نلاحظ أن الإمام الشافعي قد استخدم أسلوب التعميمات في كتبه ومؤلفاته، فقد قال:"كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بيناً: لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه"،"كل ما كان فيه صيد في بئر كان أو في ماء مستنقع أو عين، عذب أو مالح فهو بحر"،"كل قاتل عمد عُفي عنه وأخذت منه الدية فعليه كفارة"،"كل ما لزمه اسم الخيل من العراب والمقاريف والبرازين فأكلها حلال".[2] فهذه تعتبر قوانين كلية وتعميمات شاملة يحتاج إليها المتعلم في نهاية درسه كخلاصة للموضوع، حيث تتراكم المعلومات وتتسع الموضوعات فيجد المتعلم قانوناً ضابطاً يوحد وينظم مجموع المعارف التي تقدم إليه، ويسهل عليه فهمها وحفظها.

الأسلوب الثاني عشر/ أسلوب الترغيب والترهيب والعقاب البدني

إن أسلوب الترغيب مقدم على أسلوب الترهيب في التعليم، لأن الثواب أقوى وأبقى من العقاب في عملية التعليم". [3] ولكن هذا لا ينفي وجود أسلوب الترهيب الذي استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال:"ويل للأعقاب من النار"وفي هذا ترهيب وتخويف من الوقوع في هذا الفعل، وأن جزاؤه النار إذا لم يغسل عقبيه أو جزء منهما. وللإمام الشافعي رأيه في موضوع الترهيب والترغيب والعقاب البدني، حيث يرى أنه يمكن تأديب الأطفال من غير الضرب، لذا قال في كتابه **الأم**:"الاختيار ترك الضرب"ص ٢٣٦٦ ويقول كذلك:"فإذا بلغ الغلام الحلم والجارية المحيض غير مغلوبين على عقولهما أوجبت عليهما الصلاة والفرائض كلها وإن كانا ابني أقل من خمس عشرة سنة وجبت عليهما الصلاة وأمر كل واحد منهما بالصلاة إذا عقلها فإذا لم يعقلا لم يكونا كمن تركها بعد

١ الشافعي، محمد بن إدريس: الأم، ص ٦٥.

٢ الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة.

٣ راجح، أحمد عزت: أصول علم النفس، ص٢٢٦.

البلوغ وأدبهما على تركها أدباً خفيفاً"[1]و يتحدث عن الحياة الزوجية فيقول"ولو ترك الضرب كان أحب إليّ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: { لن يضرب خياركم }"ص ١٥٢٥ وكذلك يقول أيضاً في كتابه الأم:"ومعلم الكُتَّاب والآدميين مخالف لراعي البهائم وصناع الأعمال لأن الآدميين يؤدبون بالكلام، فيتعلمون وليس هكذا مؤدب البهائم، فإذا ضرب أحداً من الآدميين لاستصلاح المضروب أو غير استصلاحه فتلف كانت فيه دية على عاقلته والكفارة في ماله والتعزير ليس بحد يجب بكل حال[2]، وهكذا ضيق الإمام الشافعي من مجال العقاب البدني فالمعلم ضامن لسلامة المتعلم ومسئول عن عواقب العقاب البدني، و في حال استخدام العقاب البدني بغرض التعليم عند الضَّرورة القُصوى فإنَّه يتحمَّل مسؤولية أي ضرر يلحق بالمتعلم، وإننا نلاحظ في العصر الحديث أن رأي الشَّافِعِي هو المعمول به في معظم أقطار العالم، فلا يحق للمعلم أن يحمل معه العصا في المدرسة، ولو استخدمها على سبيل التَّأديب ثم ظهر ضرر أو تلف في جسد أو نفس الطَّالب، فإنَّ الضَّمان والمسئولية تقع على عاتق المُعَلِّم.

الفصل الثالث/ التوظيف التربوي للأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي في تعليمنا المعاصر.

أولاً/ أهمية تنوع الأساليب التعليمية

إن الدارس لمصادر التربية الإسلامية يلحظ تنوع أساليب التربية وتعدد مجالاتها حتى يختار المعلم ما يتوافق مع طبيعة المتعلم، ومرحلة نموه وعصره الذي يعيش فيه، والأحداث والمتغيرات التي تمر بالأفراد والمجتمعات .ويؤكد هذه الحقيقة ابن حجر حيث يقول:"ويكرر لفظ"طريقا "و"علماً"ليتناول أنواع الطرق الموصلة إلى تحصيل العلوم، وليندرج فيه القليل والكثير"[3]

وهذا التنوع في الاساليب التعليمية يؤدي إلى التجاوب والتفاعل وتحقيق الأهداف التربوية التي يحرص عليها المعلم ؛ نظرًا لاختلاف الطبائع البشرية، ويمكن أن نلخص أهمية تنوع الأساليب التعليمية في الأمور التالية:

١ –اختلاف المتعلمين في خصائصهم من حيث المعرفة، والجنس، والاستعداد، والخبرات السابقة، والقدرات والميول والمواهب،"فالناس متباينون في نفس عقلهم الأشياء من بين كامل وناقص،

١ الشافعي، محمد بن إدريس، الأم: ص٤٨.

٢ الشافعي، محمد بن إدريس، الأم: ص١٥٥٩.

٣ ابن حجر: فتح الباري، ١/١٦٠.

وفيما يعقلونه من قليل وكثير، وجليل ودقيق، وغير ذلك"([1]. وعلى المعلم ألا يلقى إلى أحد ما لم يتأهل له؛ لأن ذلك يبدد ذهنه ويغرق فهمه، ويشوش عليه"[2]

٢ –اختلاف المعلمين في فهم الوظيفة الأساسية لموضع التربية وعصرها وبيئتها، وطبيعة المادة المدروسة ونوع الأسلوب المناسب لها، فقد يرى البعض أن التربية هي كيفية الوصول إلى فهم تراث الماضي، وقد يراها البعض بأنها مواجهة الحياة الحاضرة، وعليه يكون اختيار أسلوب التعليم [3]

٣ –إن تنوع الأساليب التعليمية يعمل على إثارة همم المتعلمين، ويساعد على تحفيزهم وتشجيعهم للتعلم والاستزادة، ويبعد عنهم السآمة والملل؛ لأن تجديد الأسلوب يزيد التفاعل ويمنع تشتت الانتباه والذهن،"فالتعليم صناعة والصانع يجوز له استعمال شتى الوسائل والطرق التي تؤدي إلى فهم هذه الصناعة"[4]

٤ –إن تنوع الأساليب التعليمية يؤدي إلى سهولة التعلم والعمل على التطبيق العملي لمدلول الجوانب المعرفية والمهارية والاجتماعية والمهنية التي يتلقاه المتعلم أثناء الموقف التعليمي، بل تؤدي إلى ثبات ما تعلمه المتعلم لوقت طويل.[5]

٥ –إن تنويع الأساليب التعليمية يحقق مبدأ مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين نظرًا لاختلاف بعضهم عن بعض، بسبب الفروق الفردية التي بينهم، فتنويع الأساليب يعطي المعلم غرضه في تقديم المعرفة إلى طلابه بالطريق المناسب للفهم، والمتعلم يستطيع الإفادة من المعرفة التي تقدم له من خلال الأسلوب الذي يتوافق مع قدراته ورغباته، فالهدف إيصال المعلومات إلى ذهن التلميذ بأسلم طريق وأقل جهد.

٦ –إن تنويع الأساليب التعليمية يساعد على تحقيق الأهداف التربوية للمادة التعليمية موضوع الدرس، حيث إن لكل موضوع ومادة أسلوباً تعليمياً يتناسب معها أكثر من غيرها، و لهذا فالمعلم الذي لديه عدة أساليب تعليمية وتربوية ينجح في عمله التربوي ؛ لأنه يعطي كل تلميذ بمعيار عقله ويقدم المادة العلمية بالطريقة التي تتناسب موضوعاتها، واحتياجات المتعلمين.

١ابن تيمية: الفتاوى، ٣٠٩/٢٩.

٢ ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص ٥١.

٣ فايد، عبد الحميد: رائد التربية العامة وأصول التعليم،ص ٥٢.

٤ بانبيلة، حسن عبد الله: ابن خلدون وتراثه التربوي و ص١٣٠.

٥جان، محمد صالح: المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس، ص ٤٣٢.

٧- إن تطور الأساليب واختلاف البيئات يتطلب التنوع في الأساليب وذلك بحسب المقتضيات الموضوعية، والأحوال والأفراد؛ لأن طبيعة العصر الذي نعيشه وتبدل الأحوال والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتربوية يتطلب مواكبة ذلك التغير بالتنويع في أساليب التعليم؛ فالمعلم الناجح هو الذي يكون متفننا في تنويع أساليب التعليم متقناً لتلك الأساليب عارفاً بالأسلوب الذي يصلح لكل موقف من مواقف التدريس وموارده، فلا يكفي الإتقان العلمي، بل لابد من إتقان أساليب التعليم؛ لأنه ليس كل معلّم يستطع تبسيط معلوماته ونقلها إلى عقول الناشئين، فذلك يحتاج إلى الكثير من الخبرة والمران، وحسن التدريب، واتباع أساليب مدونة في كتب أصول التدريس والتربية وعلم النفس التعليمي.١

ثانياً/ الاستفادة من الأساليب التعليمية عند الإمام الشافعي في تعليمنا المعاصر

مهما تطورت التكنولوجيا الحديثة فإنَّها لا تستطيع أن تلغي دور المعلم أبداً. فإن المعلم ركن أساسي من أركان العملية التعليمية وقديماً قال الإمام الشافعي رحمه الله:"من لا شيخ له لا علم له". ومن واجبات المُعَلِّم أن يُشَجِّع تلاميذَه على السُّؤالِ والمحاورة في طلب العلم. والمُعَلِّمُ الناجح هو الذي يَعرف فضل الآخرين ويغرس في تلاميذه حب العلماء. أي بكلمة واحدة مُوجزة وبنصيحة حكيمةٍ قد يُرشد المعلِّم الطلاب ويهديهم إلى آفاق واسعة كأن يُرشدهم إلى اسم كتاب أو فِكرة ما وهذا هو دور المُعَلِّم الإرشاد والتَّوجيه. ولقد كان الإمام الشَّافِعِيّ يُرشد طلابه إلى أسماء روَّاد كل علم ليأخذوا منه فيقول لهم إذا أردتُم القِه فعليكم بأبي حَنيفة ومن أراد السِّيرة فعليه بمحمد بن إسحاق ومن أراد الحديث فعليه بمالك ومن أراد التَّفسير فعليه بمقاتل بن سليمان ومن أراد النَّحو فعليه بالكسائي.

وإن العالم العربي اليوم يعاني من ندرة الأفكار الأصيلة، ويعتمد على النسخ المباشر الذي لا صلة له بخصوصياتنا وينطلق من منطلقات منفصلة عن هويتنا. قال ادوارد سعيد:"ولهذا أعتقد أننا لم ننل قسطنا بعد من سيرورة التنوير والتحرر بالمعنى الفكري، وأعتقد أن اللوم يقع على المثقفين، إذ ليس بوسعنا أن ننحى باللائمة على الامبريالية أو الصهيونية"[٢]

ولهذا فإننا بحاجة اليوم إلى أن يدرك كل معلم أنه يجب عليه ألا يربي أبناءنا على موائد الغرب تارة، والشرق تارة أخرى، بل يجب أن يرجع إلى تراثنا الإسلامي الأصيل. وأن ينظر إلى علمائنا

١ النحلاوي، عبد الرحمن:أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص١٧٤.

٢ سعيد، إدوارد:تعقيبات على الإستشراق، ص ١٤٣.

المسلمين على أنهم أصحاب سبق تربوي، ويستقي أساليبه التعليمية والتربوية من تلك الاساليب التعليمية التي سبقه إليها علماء المسلمين أمثال الإمام الشافعي وغيره من العلماء.

وعصرنا الراهن عصر المناهج البحثية الناضجة والناهضة، وهذا باب يجب إبرازه في دائرتي الاهتمام والتأثير في العقل العربي اليوم بغية تصحيح المسار وتعزيز عمليات التنمية الحقيقية، للارتقاء بالعملية التعليمية، والنهوض بها. وكثيرة هي الأساليب التعليمية التي استخدمها علماء المسلمين مثل الإمام الشافعي أثناء تعليمهم لطلابهم، والتي يمكن أن تتضمنها مناهجنا، وأنشطتنا التعليمية، الصفية واللاصفية، مثل: القدوة الحسنة، والمناظرة، والرحلة العلمية، والموعظة والنصيحة، والأدلة والبراهين، ومراعاة الفروق الفردية، وضرب الأمثال، وشرح المفردات، والتلقين والتكرار، والتمهيد للدرس، والتعميمات، والترغيب والترهيب وغيرها من الأساليب التعليمية الأخرى التي لم تذكر في البحث.

والمعلم المبدع، هو المعلم الذي يستطيع أن يجمع أكبر عدد من الأساليب التعليمية، ويوظفها في تعليمه للطلاب، حسب الحاجة إليها، وحسب طبيعة المادة التعليمية المقدمة للطلاب، وحسب الطلاب أنفسهم.

ثالثاً/ النتائج والتوصيات

النتائج:

١- يعتبر الإمام الشافعي صاحب سبق تربوي حيث قام بدراسة أهداف التربية ووسائلها والمعلم وأخلاقه، والمتعلم و الشروط اللازم توافرها فيه، وهذه هي المحاور الأساسية للعملية التربوية.

٢- وضع الإمام الشافعي شروطاً يجب توافرها في طالب العلم، أجملها بالبيتين:

أخي لن تنال العلمَ إلا بستةٍ سأنبيك عن تفصيلها ببيانِ

ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبُلغةٌ وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمانِ

٣-أعتمد الإمام الشافعي على تنوع الأساليب التعليمية مع طلابه وفي مؤلفاته، واستخدامها وقت الحاجة إليها.

٤-اهتم الإمام الشافعي اهتماماً كبيراً بأسلوب المناظرة، وجعل حسن الخلق أساس التباحث من أجل المنفعة المشتركة.

٥-اعتنى الإمام الشافعي بأسلوب القدوة الحسنة، واعتبر أن المعلم هو نموذج حي، يقلده الطلاب ويتقمصون شخصيته، لذا وجب عليه أن يكون قدوة وأسوة حسنة، يأخذ بأيدي طلابه نحو تحقيق الأهداف المرجوة، برفق وحكمة.

التوصيات:

١-تعريف الطلاب الناشئين بأخلاقيات طالب العلم، كما يراها علماء المسلمين، عبر برامج إعلامية تحاكي التطور العصري وقادرة على جذب الأنظار والتأثير في النفوس.

٢-دراسة الفكر التربوي عند علماء المسلمين، والحذر من عزل تراثهم وتفسيره في دائرة ضيقة وأدبيات محدودة.

٣-عقد دورات تدريبية للمعلمين والمعلمات لبيان أفكار الإمام الشافعي وسبل توظيفها في الواقع التعليمي والتربوي المعاصر.

٤-الترسيخ في ذهن المعلمين والمتعلمين أن علماء المسلمين أمثال الإمام الشافعي وغيره، هم أصحاب سبق تربوي، وقبل كل النظريات التربوية الحديثة المعمول بها اليوم.

المراجع

١.ابن تيمية: الفتاوى، ٢٩/ ٣٠٩.

٢.ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص ٥١.

٣.ابن حجر: فتح الباري، المجلد الأول، ص ١٦٠.

٤.ابن خلكان، أحمد بن محمد."وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان"، المجلد الثالث.

٥.ابن خلكان، أحمد بن محمد."وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان"، المجلد العاشر.

٦.أبو صالح، محب الدين أحمد:"أساسيات في طرق التدريس"، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٢ هـ، ص٢٦.

٧.الإبراشي، عطية:"التربية الإسلامية وفلاسفتها"، القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٧٦، ص ٢٠٩.

٨.الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ٣، ص ٤٠٤، موقع الوراق.

٩.الجندي، عبد الحليم"الإمام الشافعي وأثره في الفكر والثقافة الإسلامية"، مجلة الثقافة العربية، العدد الخامس، عام ١٩٧٧م.

١٠.البغدادي، الخطيب:"تاريخ بغداد"، المجلد الثاني، ص٢٨.

١١.الدقر، عبد الغني:"محمد بن إدريس الشافعي". ط١، دمشق، دار القلم، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٢.الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، إشراف شعيب الأرنؤوط، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة.

١٣. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان:"تاريخ الإسلام"، ج١٤، ص٣٢٢.

١٤.السبكي، تاج الدين (٢٠٠٩م)."طبقات الشافعية". موقع الوراق.

١٥.السيد علي، فاطمة محمد:"الفكر التربوي عند الإمام الشافعي"، رسالة ماجستير، جامعة المنوفية، شبين الكوم، مصر، ١٩٨١م.

١٦.الشافعي، محمد بن إدريس"الأم".

١٧.الشافعي، محمد بن إدريس"الرسالة"، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر. ط١، القاهرة، دار الآثار.

١٨.الشكعة، مصطفى محمد"إسلام بلا مذاهب"، الدار المصرية اللبنانية، ط ٨، عام ١٩٩١م.

١٩.الكندري، لطيفة حسين وآخرون"المضامين التربوية في فكر الإمام الشافعي، جامعة سوهاج، المجلة التربوية، العدد ٢٨، يوليو ٢٠١٠م".
٢٠.الكندري، لطيفة و ملك، بدر"تراثنا التربوي: ننطلق منه ولا ننغلق فيه".
٢١.النحلاوي، عبد الرحمن:"أصول التربية الإسلامية وأساليبها"، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٣هـ، ص١٧٤.
٢٢.النووي، يحيى بن شرف (١٩٩٦م)."تهذيب الأسماء واللغات". بيروت: دار الفكر.
٢٣.أبو شوشة، محمد ناجح:"التراث التربوي في المذهب الشافعي"، دار العلم والإيمان، مصر، ٢٠٠٨م.
٢٤.المقدسي، ابن مفلح:"الآداب الشرعية"، الجزء الثاني، ص ١٦٥.
٢٥.بانبيلة، حسن عبد الله:"ابن خلدون وتراثه التربوي"، ص ١٣٠.
٢٦.جان، محمد صالح:"المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس"، دار الطرفين، الطائف، ١٤١٩هـ، ص ٤٣٢.
٢٧.راجح، أحمد عزت:"أصول علم النفس"الإسكندرية، المكتب المصري الحديث، ١٩٧٣م.
٢٨.سعيد، إدوارد:"تعقيبات على الإستشراق"ترجمة صبحي حديدي، ط١، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦م.
٢٩.سليمان، أحمد:"التربية والتعليم"، مكتبة النهضة، القاهرة ١٩٨٧ م ص ٣٢٧.
٣٠.صحيح البخاري، كتاب العلم ٦٢/١.
٣١.عبد العزيز، صالح، و عبد المجيد، عبد العزيز."التربية وطرق التدريس"، ج١، القاهرة دار المعارف ١٩٧٦م.
٣٢.فايد، عبد الحميد"رائد التربية العامة وأصول التعليم"، ط ٣، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٥م، ص ٥٢.
٣٣.ملك، بدر محمد و أبو طالب:"السبق التربوي في فكر الإمام الشافعي"١٩٨٩م.
٣٤.هندي، صالح و عليان، هشام: دراسات في المناهج، ص ١٠٩.

مواقع الانترنت:

٣٥.http://www.latefah.net
٣٦.http://uqu.edu.sa/majalat/shariaramag/mag٢٧/pdf/doc٠٨.pdf
٣٧.http://www.geocities.ws/ta٣leqa١/munagashat.html
موقع الوراق http://www.alwaraq.net